

# فلسطين في السمر العربي قبل النكبة

تقديم حمزة أبو غزالة

ان اتحدث عن موقف البلد العربي الواحد امام اخوته من البلاد العربية الاخرى ، فالمواقف كثيرة تؤكد قوة الصلة وأصالة القوميين ، ولكنني أتناول في حديثي قضية فلسطين . القضية الاولى التي وقف عندها الادب العربي في كل جزء من اجزاء هذا الوطن الممزق ، والشعر بنوع خاص ، فأولاهها من عاطفته وأحاسيسه الجزء الاكبر منها رغم مشاكل كل جزء ، فكانت فلسطين النداء الاول الذي ارتفع ينيبه العرب جميعهم الى ما ينتظرنا من هزائم نتيجة هذه التجزئة وهذا التقسيم ، وكانت فلسطين الصوت الاول الذي ارتفع يدعو الى الوحدة ويستنجد بها لان التجزئة فرضت ليسهل سرقة البلاد واقتطاع اراضيها والتصرف في ارضها ، ذلك لان الجرثومة التي زرعت في تلك الارض المقدسة تختلف عن غيرها من الجرثائم لانها فيها حركة النمو والتطور والتشعب .

فمنذ وعد بلفور الى النكبة وناقوس فلسطين ترتفع دقاته منذرا ومحفذرا . .

ومنذ وعد بلفور والعرب في فلسطين يحاولون جهودهم تحقيق الوحدة العربية كلما ظهر في الافق بوادر لها . . التفوا حول الحسين فخابت آمالهم ، وتعلقوا بفصل وبعلان الدولة العربية في سورية فطعنوا احلامهم ، فلم يبأسوا او يستسلموا بل ثابروا وجاهدوا وتحملوا صنوف التعذيب ودخلوا مختلف المارك واضاعوا آلاف الشهداء الى ان كانت الكارثة وحلت النكبة .

وكان دور الادب كبيرا في قيادة هذه المعركة ورفع تلك الشعارات وتنبيه الامة وتحذيرها مما يدبر لها ويعد للايقاع بها ، فكان عامل تذكير واثارة كما كان عامل تجميع للمشاعر العربية في اطوارها الادبي ، فلم يخل ديوان من دواوين الشعراء دون ذكرها ، بل لم تمض سنة من السنوات دون ان تذكر على السنة الشعراء وفي المحافل الأدبية ، فكانت القضية القومية الاولى التي بدت في افق الفجر العربي الجديد وفي مجال الشعر القومي .

ففي عام ١٩٢١ قدم الوفد الفلسطيني الى مصر فبالغ الشعراء في تكريم هذا الوفد والاحتفال به ، وفي ذلك يقول الكاظمي شاعر العرب في المجموعة الثالثة لديوان الاظمي ص ٢٣٤ :

يرى العرب فرضا رمى رد حليفها  
وان لم يكن حكم اليراع يعادل  
بنو المجد ان شد الزمان عليكم  
فشدوا واما يجهل الدهر فاجهلوا  
وأثناء زيارة الوفد الفلسطيني للنحف اقيمت له حفلات كثيرة ترددت فيها قضية فلسطين وغدر الحلفاء بالعرب ، وتنبأ الشعراء أثناءها بوحدانية عربية تكون فلسطين هي السبب في تحقيقها ، وفي ذلك يقول محمد علي اليعقوبي في مجموعة « الفلسطينيين » ص ٥٥ مطبعة العربي في النجف :

عسى وحدة للعرب انتم دعائها  
يلم بكم عما قريب شتاتها  
حدادا لما فاست فلسطين انها  
عليها الرزيات التقت حلقاتها

لما وضعت الحرب العالمية أوزارها وقعت البلاد العربية في نطاق من السيطرة الأجنبية المقنعة بأسماء الحماية والوصاية والانتداب .

فقد أسفر اجتماع سان ريمو عام ١٩٢٠ عن احتلال الإنكليز والفرنسيين للشام ومصر والعراق ، وخوفا من ان تتكرر التجمعات العربية ثانية وضع الاستعمار خطة لخلق مشاكل اقليمية متعددة حتى يستقل كل جزء بمشاكله ، فتقوى التجزئة وتضعف روابط الوحدة وتتجزأ القوى النضالية .

فخلق من الشام دولا أربع ، دولة دمشق وحلب وجبل الدروز والعوليين ، وذلك ليفصل القوى الثورية عن دمشق ، واقتطع من سوريا بيروت وصيدا وصور وطرابلس وضمها الى لبنان ، ليخلق الحزازات النفسية ، ويضعف العقيدة القومية في النفوس ، وأخرج لواء الاسكندرون عن حلب وضمه الى الأتراك عام ١٩٣٩ .

اما الاردن فقد قسمها الى أربع ادارات : عجلون والكرك والسلط وعمان ، كل جزء له نطاق اداري وقضائي يختلف عن الآخر . ولما عجزت انكلترا عن المحافظة على الحدود التي اصطنعتها بين الاردن والشام وضعت الامير عبد الله اميرا عليها على ان يتعهد بالمحافظة على الحدود من البدو والحضر ، كل ذلك مقابل ان تبذل الحكومة البريطانية المساعي لتحسين العلاقات بين الامير والسلطات الفرنسية في سوريا على تعديل حدود الامارة الاردنية لتأخذ منطقتا حوران وجبل الدروز بشرفي الاردن ، واما مصر فلم تجد طريقة تمتص فيها القوى النضالية الا باعلان الحماية عليها وحرمانها من حق قيام حكومة وطنية ، وأثارت في طريق كفاها عقبات متعددة لتنفى عنها اي شعور بالاستقرار ولتشغل قوى البلاد بالكفاح الداخلي فتبعدها عن التفكير في البلاد العربية الشقيقة ، فأثارت في طريق استقلالها حماية المصالح الأجنبية ، ومشاكل الري مع السودان ، وامتيازات الدولة البريطانية كما جعلت من القصر ستارا تسخره لتحقيق ما تعده من مؤامرات .

وسلكت الحكومة البريطانية في فلسطين مسلكا آخر لتضرب البلاد العربية كلها اذا ما فكت عنها قيودها وتحررت أرضها ، وذلك بوعد بلفور الذي جعلت له في نظرها حرمة بادخاله في صك الانتداب ، فأنشأت الوكالة اليهودية كحكومة ثابتة في البلاد ، وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية كما جعلت لليهود حق التشاور مباشرة مع لندن في كل شأن من شؤونهم . فهل وقفت كل هذه العقبات امام المشاعر العربية الموحدة في كل بلد عربي؟؟ وهل منعت هذه المشاكل الداخلية على كثرتها وتعددتها دون تجاوب البلد العربي الواحد نحو البلاد العربية كلها؟؟ . ودون التجاوب الفكري والعاطفي؟؟

لا اريد ان أتحدث عن التجمعات العربية بين الحريين الاولى والثانية فانها كثيرة متشعبة ، ولا اريد



بشاره الخوري



ابراهيم طوقان



محمد علي الحوماني

الخليل وصفد ويافا وقع فيها عدد كبير من القتلى اليهود، وحاولت السلطات الاستعمارية مساعدة اليهود كعادتها دائما كلما نشبت اضطرابات وظهر ضعف اليهود ، فألقت القبض على ثلاثة من المناضلين العرب أعدمتهم على مرأى من الشعب ، وفي ذلك يقول ابراهيم طوقان في ديوانه « ص ١٨ دار الشرق الجديد بيروت » :

لما تعرض نجمك المنحوس وترنحت بعري الجبال رؤوس  
ناح الاذان وأعول الناقوس فالليل أكره والنهار عبوس  
طفقت تشور عواصف وعواطف  
والموت حيناً طائف أو خاطف

والمعول الابدي يعمن في الثرى ليردهم في قلبها المتحجر  
ويقول امين ناصر الدين في هذه الحادثة في ديوانه  
« الالهام » ص ١٩٢ الصفء - لبنان :

هذي فلسطين فاضمد جرحها الدامي وانضح ثرى قفسها بالدمع الهامي  
وقل لابطالها المستشهدين كذا يموت كل ابي النفس مقدم  
جدتم بارواحكم دون البراق ومن اعزه الباس يابسى ذل احجام  
وكذلك يقول عبد الرحيم مصطفى قليات في  
حوادث المبكى :

ايها السكناج ما الحق الذي فيه اثبتتم لصهيون الوجود  
ابفضل والعالي ما رأت فيكم الاحسودا او حقودا  
أم باصل وفلسطين بكم ما حوت الا شريدا او طريدا

اما ثورة ١٩٣٦ ، تلك الثورة التي دارت رحى  
معاركها الطاحنة بين العرب والانكليز ، واشترك فيها  
العرب السوريون والعراقيون والاردنيون مما جعلها بحق  
ثورة عربية كبرى ، فقد قيل فيها الكثير من الشعر نذكر  
منها قصيدة بشاره الخوري بعنوان « يا جهادا صفق  
المجد له » من ديوان الهوى والشباب ص ١٦٥ :

سائل الطلياء عنا والزمانا هل خفرنا ذمة مد عرفانا  
المروءات التي عاشت بنا لم تول تجري سعيرا في دمانا

وقد اهتزت البلاد العربية جميعها لآعمال القمع  
والبطش والارهاب التي قام بها الانكليز ضد السكان  
العرب وحرقت قراهم وتشريدهم ، فاحتجت جماعات

اذا اليوم لا يطفى شرار لهيبها  
تئن فيبكي العالمين انينها  
الى ان يقول :  
وما موتنا بين الورى وحياتنا

وكان وعد بلفور وصهيون والحديث عنهما مادة لكثير  
من شعرائنا ومثارا للمآسي في نفوسهم ، فيقول رشيد  
سليم الخوري يذكر الانكليز ان الله اكبر من وعودهم ،  
كما يذكر العرب بالحروب الصليبية وصلاح الدين ، وذلك  
في قصيدة مطلعها :

الحق منك ومن وعودك اكبر  
ويقول فيها :

تعد الوعود وتقتضي انجازها  
لو كنت من اهل الكارم لم تكن  
ويقول :

يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم  
نسي الصليبيون ما علمتهم  
قبلى الرحيل فعد اليهم يذكروا

وفي استنكار وعد بلفور يقول الحوماني اثناء  
المظاهرات التي اقيمت في الشام تعبيراً عن سخطهم لهذا  
الوعد واستنكارهم له :

لفلسطين في الشام يد  
ان فرقها بلفور فقد  
هتفوا والحرب تهددهم  
ونسلم ابراهيم هاشم  
لا يفعل عنها لبنان  
وحدها قبل عنان  
لنمت ولنحي الاوطان  
فلالي يقول :

صهيون نال برجسه ما لم ينله بقوسه  
خدع الورى بفجوره وبراحه وبكاسه  
جمع الجنة بداره ودعا البغاة لعرسه  
وانسى يؤسس موطننا بين الاباة لجنسه

وكانت كل حادثة تجري وقائعها في فلسطين تجد  
لها صدى في البلاد العربية ، ففي صيف ١٩٢٩ حاول  
اليهود الخروج عن التقاليد الثابتة المتعلقة بصلاتهم في  
موقع البراق ، فهاج العرب وثاروا لانهم فطنوا لما يضمرة  
اليهود من وراء هذه المحاولة من الاعتداء على الاماكن  
الاسلامية المقدسة ، فنشبت اضطرابات عنيفة في مدن

المفكرين وثار الشعب العربي مطالباً الدفاع عن اخوانهم المجاهدين ، ودام اضراب العرب في فلسطين ستة شهور توقفت فيها الحياة بكل الوانها ، وقدم الفلسطيني أثناءها أروع البطولات في الصبر على الجهاد واحتمال صنوف العذاب حتى اصبحت مضرب الامثال في تاريخ الكفاح العربي ، الى ان توجه غازي العراق ويحيي اليمن وابن سعود وعبد الله بندهاء لايقاف القتال ، وانتهى بقرار التقسيم الذي وضعته لجنة بيل فرفضه العرب بينما وجد فيه عبد الله الحل العملي لهذه القضية ليصبح ملكا على رقعة اوسع من الارض العربية ، ويقول وديع البستاني في ذلك :

نادى الملوك فلبينا نداهم ان الرغائب ما شاءوا وما رغبوا  
سبعون يوما توالى بعدها مائة وسبعة والضحايا فوق ما حسوا  
في ذمة الله قتلانا وذمتهم دين الى اجل يقضى ولا طلب

وبدأنا نسمع صيحات شعرائنا العرب في مصر تردد ما يقع من المآسي في فلسطين ، فبعد ابرام المعاهدة البريطانية المصرية نسمع الدكتور محمد حسين هيكل باشا يصرح أثناء نقده لمعاهدة ١٩٣٦ « كانت الحكومة المصرية تعمل جهدها لمنع نشر ابناء فلسطين في الصحف او العطف عليها باسم الحرص على المفاوضات المصرية البريطانية » . فنسمع صوت احمد محرم يقول عام ١٩٣٨ قصيدة بعنوان « وطن يعذب في الجحيم » :

ليبك يا وطن الجهاد ومرحبا ليك من داع اهاب وثوبيا

ويصرح في قصيدته ان الهدف من هذا العمل هو اصابة العروبة جميعها بنكبة وان كفاح ابناء فلسطين هو كفاح العروبة جميعا :

انا لتسلم ان اكل لحمهم سيخوض منا في الدماء ليشربا  
الى ان يقول :

يا آل يعرب من يريني خالد يزجي الخميس ويستحث المقتيا

وفي المؤتمر الثقافي في لبنان الذي عقد عام ١٩٤٧ ينتقل علي الجارم من التفني بلبنان الى ذكر فلسطين وما يحدث ذكرها في نفسه من الألم فيقول في الجزء الاول من ديوانه - مطبعة المعارف ص ١٧٨ :

بني العروبة ان الله يجمعنا  
لنا بها وطن حر نلوذ به  
قلي وبيض دموعي كلما خطرت  
لقد أعاد بها التاريخ أندلسا  
ميراننا في فتى حطين اين مضى  
ردوا تراث ابينا ما لكم صلة  
بني فلسطين كونوا امة ويدا  
وكيف يأمن رعيان وان جهدوا  
فلا يفرقنا في الارض انسان  
اذا تناءت مسافات واوطان  
ذكرى فلسطين خفاق وهينان  
أخرى وطاف بها للشر طوفان  
وهل نهايتنا يتم وحرمان ؟  
به ولا لكم في امرنا شان  
قد يختفي في ظلال الورد ثعبان  
اذا تردى ثياب الشاة سرحان

وقد وضعت بعض الهيئات دواوين ضمت قصائد عن فلسطين نذكر منها جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف ، فقد جمعت مجموعة من الشعر الذي نظمته شعراؤها في مختلف المناسبات عن فلسطين أطلقوا عليه اسم « الفلسطينيين » كما وضع ايضا الشاعر وديع البستاني ديوانا آخر اطلق عليه ايضا « ديوان الفلسطينيين »

وهكذا توالى الشعر العربي في الالتفاف حول اولى القضايا القومية يوليها الكثير من أحاسيسه ومشاعره ، ولست بصدد نقد هذا الشعر او تقييمه ، فهذا موضوع يخرج عن نطاق بحثي ، وانما قدمته لاعرض اصالة مشاعرنا في زمن لم ينقصنا فيه الا التنظيم والوعي الكامل بطرق المستعمر ومكائده ودسائسه وأساليبه المختلفة مما تتكشف لنا الان واضحة جلية ، وبقي تجاوب الشعراء قائما الى ان حلت النكبة وحدثت المأساة التي كان اول من تنبأ لها هم الشعراء أنفسهم .

ودخأت البلاد العربية في طور جديد واسلوب جديد من أساليب تحقيق الوجود ، وابرار الشخصية العربية بكل مفاهيمها ومقوماتها ، فكانت نكبتنا في فلسطين الناقوس الذي دق ليعلم انتهاء نظم الحكم الفاسدة التي سببت النكبة وأضاعت الارض ، فنتج عن ذلك ثورة مصر والتخلص من الفئة الباغية وانتهاء الحكم الملكي حكم القصور واعلان الجمهورية العربية المتحدة لتأخذ طريقها القيادي في معركة التحرر العربية ، وبدأت موجات التحرر العربي تشق طريقها فاذا بثورة الجزائر تتفجر بقوة واندفاع جماهيري لتحقيق شخصية الجزائر العربية وثبت وجودها العربي .

ولم يقف الامر عند ذلك بل امتد الى ثورات مد وجزر مستمرة في سوريا والعراق ، والى ثورة ابادت الحكم الفاسد في اليمن والى تحقيق الوحدة بين الجمهورية العربية وسوريا ، وجولات متواصلة في سبيل تحطيم العهد البائد أدوات عهد ما قبل النكبة .

كل هذه الانفجارات الشعبية كانت قضية فلسطين هي المحرك لها والمؤجج لنيرانها ، فقد نما الوعي ، واتضحت طريق الوحدة العربية التي تحمي مكاسبنا وتحمي حقوقنا وتحقق وجودنا ، ولن تكون الايام القادمة ببعيدة حينما يتخلص الوطن العربي من ذيول الانتهازية والرجعية والانفصالية ليدفع بقوته الكامنة في حنايا ابناءه الى عهد جديد وأمل جديد في وحدة عربية مرتقبة لاستعادة الوطن السليب .

سميرة ابو غزالة

تأليف :  
غسان كنفاني

صدر حديثا :

## الباب مسرحة

دار الطليعة - بيروت ص . ب ١٨١٣